

المبحث الثاني

التطور التاريخي لحقوق الانسان

ان التاريخ حلقات متصلة يكمل بعضها بعضا فالماضي وسيلة لفهم الحاضر كما انت الحاضر يعيش في الماضي وكلاهما يرسمان ملامح المستقبل وموضوع حقوق الانسان ليس وليد العصر الحاضر وإنما هو قديم قدم الانسانية نفسها ويشكل جزءا لا يتجزأ من تاريخها وقد ارتبط بالمجتمعات البشرية منذ بدء الخليقة وتأثر سلبا وإيجابا بالظروف الزمنية والمكانية لتلك المجتمعات وبالتيارات الفكرية والتقاليد السائدة فيها كما ارتبط بشرائع السماوية وأخرها الشريعة الاسلامية.

لذا يجب ان نتعرف على تاريخ حقوق الانسان ونفهم مراحل تطورها ولنستعيد ثقنتنا بديننا وأنفسنا فالإسلام هو اول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الانسان في اكمل صورة وأوسع نطاق وهذه المبادئ التي طالما صدرناها للناس يعاد تصديرها الينا على انها من الغرب.

حقوق الانسان عبر المراحل التاريخية

المرحلة الأولى : حقوق الانسان في الحضارات والمجتمعات القديمة وتبدأ هذه المرحلة من بدأ الخليقة الى القرن الخامس الميلادي بسقوط الامبراطورية الرومانية.

المرحلة الثانية : حقوق الانسان في العصور الوسطى وتبدأ من ظهور الاسلام الى القرن الخامس الميلادي وتنتهي بالقرن الخامس عشر الميلادي وتحديدًا عام 1492م.

المرحلة الثالثة: حقوق الانسان في العصر الحديث وتبدأ من القرن الخامس عشر الميلادي على ان هذه المراحل لم تكن منفصلة تماما بعضها على بعض ولا توجد فواصل زمنية محددة بينها فحقوق الانسان لم تنتقل من مرحلة الى اخرى دفعة واحدة وإنما على شكل مراحل اذ كان اعلان الاستقلال الامريكى لحقوق الانسان عام 1776م والإعلان الفرنسي لحقوق الانسان 1789م كفواصل بين هذه المراحل لان هذه الاحداث الثلاثة تشكل نقطة تحول مهمة في تاريخ مسيرة حقوق الانسان.

حقوق الانسان في بعض الحضارات القديمة

1. حضارة بلاد وادي الرافدين : ان الحقب التاريخية التي مرت على العراق القديم هي العهد السومري والاكدي والاشوري والبابلي وقد شهدت تطورا كبيرا في التمدن الانساني وان حضارة

بلاد الرافدين (العراق القديم) هي اقدم حضارة في العالم من خلال تاريخه في جوانبه المختلفة: الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي.

الذي يهمننا الجانب الاجتماعي فقد أنشأ اكثر القوانين لاعطاء الانسان حقوقه والتعرف بواجباته فالحرية والعدالة والمساواة كانت من الافكار الاساسية التي تجسدت في كثير من القوانين منها : قانون اورنمو , قانون لبت - عشتار , قانون اشنونا , قانون حمورابي, القوانين الاشورية. ولا ننكر ان هنالك طبقات في المجتمع العراقي القديم وهي طبقة الاحرار وطبقة العبيد وطبقة الوسطى حالة كحال بقيت المجتمعات القديمة كالمجتمع المصري واليهودي والاغريقي والروماني وان التمييز ما بين طبقتين رئيسيتين فقد هي طبقة الاحرار وطبقة العبيد ويلاحظ ان حال طبقة العبيد في العراق القديم كانت احسن بكثير من الوجهتين الاجتماعية والقانونية اذا قارنها بحال العبيد في المجتمعات القديمة الاخرى فكان الحكام العراقيون والمصلحون والاجتماعيون يسعون دائما لأعطاء المزيد من الحماية لطبقة العبيد وخلصها من العبودية كما ان المجتمع العراقي لم يكن مجتمعا طبقيًا مقلًا بل ان الاساس لتمييز بين الافراد وهو حالة الفرد الاقتصادية وامكاناته المادية وذلك بسبب اعتماد المجتمع العراقي القديم على التجارة ولكن ما يحسب له على

انه مجتمع انساني فمن خلال وقوف القوانين العراقية بجانب الطبقة الكادحة و حمايتها من الاستغلال من قبل الاغنياء والمتنفذين.

2. الحضارة اليونانية: وهي حضارة تمتاز بالفكر الفلسفي والسياسي ومن ابرز المفكرين اليونانيين الذين اهتموا بالسياسة وحقوق الانسان هو (صولون) (الذي توفي : 650 ق.م) والذي اصدر قانونا عرف بأسم قانون صولون حيث اكد فيه على الغاء الرق ووضع نظام للشراكة ووضع قاعدة لتقسيم التركة.

منذ قيام حضارة الإغريق في مندم ، عرفت الحرية إحدى صورها وهي المشاركة في الحكم. أي المشاركة في الأمور السياسية. إلا انه لم يكن يعترف للفرد بحرياته الشخصية.

بخصوص حق الملكية ، فقد كانت من العوامل الهامة التي أثرت في حياة اليونانيين السياسية ، وطريقتهم في الحكم ونظامه ، حيث كانت ملكية الأرض عندهم جماعية ثم تحولت إلى ملكية القبائل. وفيما يتعلق بالحقوق السياسية ، فقد اعتبرت الديمقراطية مباشرة هي الأسلوب الأمثل في الحكم ، إذ كان الحكم لكل الشعب من الوطنيين والحق لهم بالاشتراك في الحكم وكانت تشريعاتهم تقتضي باعتبار الإنسان هو الأصل في كيان الدولة .

وقد اعتبرت الحضارة الإغريقية الانتخاب وسيلة غير ديمقراطية لاختيار الحكام ، وكان الاختيار يتم بالقرعة ويعد الوسيلة الديمقراطية الصحيحة عندهم ، لكونها تحقق مبدأ المساواة ، وتكافؤ الفرص أمام الجميع للوصول إلى إشغال الوظائف العامة.

لقد كان انعدام التوازن الاجتماعي طابعاً مميزاً للمدن الإغريقية ، إذ كان المجتمع يتألف من طبقتين : طبقة الأحرار ، وطبقة الأرقاء ، وهم الذين حرّموا من كل حق ، وهنا يمكن القول بأن مبدأ المساواة كان معدوماً ، وكان ينظر للرقيق بأنه خلق للطاعة والعمل ، ويرى أرسطو إن العبيد من صنع الطبيعة التي جعلت العبد من الأدوات التي لا بد منها لتحقيق سعادة الأسرة اليونانية. كما أن المرأة في الشرائع والنظم اليونانية لم تكن اسعد حظاً من الرقيق ، فنصت قوانينهم على تجريد المرأة من حقوقها المدنية ووضعها تحت سيطرة الرجل في مختلف مراحل حياتها. وقد استمرت عزلة المرأة عن الحياة العامة وعن تولي أي عمل من الأعمال.

هكذا لم يعرف اليونانيون المساواة كمبدأ إنساني ، ولم يتحقق منها أي شيء ، وبظهور الرواقية التي نادى بالأخوة الإنسانية والمواطنة العالمية والمساواة بين البشر وبتحرر الأفراد من القوانين الوضعية. ظهرت إلى الوجود نواة مدرسة الحقوق الطبيعية التي

يتمتع بها جميع البشر وفقاً لها ، ولمجرد كونهم بشراً ، بحقوق
طبيعية تسمو على القوانين الوضعية للدول

3. الحضارة الرومانية: توصف الحضارة الرومانية بأنها
حضارة عسكرية وحضارة القانون وقد رافق هذا التوسع وجود
تمييز بين المواطن الروماني وغيره من رعايا الامبراطورية اذا
كان يخضع كل منهم لقانون خاص به , الامر الذي يتنافى مع مبدأ
المساواة امام القانون .

كانت الحرية عند الرومان تعني المشاركة في الأمور السياسية
والوصول إلى تحقيق فكرة إقرار "حكومة شعبية يشارك فيها جميع
الأفراد وكانت العدالة في نظرهم تتمثل في القانون الطبيعي. أما
بخصوص الحقوق والحريات عند الرومان ، فقد عرف الرومان
ملكية الأرض الفردية والجماعية. أما الحرية الدينية فلم يعرفوها
فكانت تواجه الانتهاك ، وخاصة بعد انتشار المسيحية واجتذابها
الناس. وفيما يتعلق بحق الانتخاب ، كان الحكام يختارون عن
طريق الانتخاب من قبل المجالس الشعبية ، التي كانت تتكون من
الأحرار الأثرياء. بقي التقسيم الطبقي ، والتفاوت في الحقوق
والواجبات بين الأفراد والطبقات هو الطابع المميز للمجتمع
الروماني. فقامت في المجتمع الروماني طبقتين. طبقة الأشراف
وطبقة العامة فأصبح التمييز والتفاضل بين هذه الطبقات موجوداً في

جميع مجالات حياة الإنسان ، فلم تكن هناك مساواة أمام القانون بين الطبقتين ، ولم يعترف للطبقة العامة بحق المواطنة ، ولم يشاركوا في المجالس الشعبية. كما لم يعترف لهم بالمساواة أمام القضاء ، بل كانت تطبق عليهم قواعد قانونية خاصة فكان التمييز وانعدام مبدأ المساواة مع الأشراف والنبلاء ظاهرة ملازمة للمجتمع الروماني.

كما أن حقوق المرأة كانت مسلوبة ومنتهكة ، فلم يتقرر لها حق الانتخاب والترشيح وكانت محرومة من تولي الوظائف العامة ، كما جردت المرأة من حقوقها السياسية ، جردت أيضاً من حقوقها المدنية في مختلف مراحل حياتها ، فمنذ ولادتها تكون تحت سيطرة رب الأسرة ، سيطرة مطلقة على كافة حقوقها ، كحق الحياة

رد من الأسرة وحق بيعها كالرقيق. ٨٢ / ٢٧

كما عرف الرومان الرق ، وكان وصفهم أسوأ بكثير منه عند اليونان. فكانوا يعملون نهاراً في الإقطاعات ، وفي الليل يكبلون بالسلاسل ، وكانت تفرض عليهم أشد العقوبات.

وبهذا يتضح بأن حقوق الإنسان وحياته عند الرومان كانت تتميز بالتفرقة والتمييز والتفاوت الطبقي وانعدام مبدأ المساواة.

حقوق الانسان في الاسلام :

لقد تميزت حقوق الانسان في الاسلام بميزات تختلف عما جاء في النظم الوضعية فهي منحة إلهية. وهذا ما اكده الاعلان العالمي لحقوق الانسان في الاسلام في مقدمته (ان حقوق الانسان في الاسلام ليست منحة من ملك او حاكم او قرار صادر عن سلطة محلية او سلطة دولية وانما هي حقوق ملزمة مصدرها الهي لا تقبل الحذف ولا الفسخ ولا التعطيل ولا يسمح بالاعتداء عليها ولا يجوز التنازل عنها والالتزام هنا اي يجب احترامها من الحكام والمحكومين مهما كانت مكانتهم الاجتماعية لانهم متساوون في العبودية له وتتصف بالدوام فلا تحتاج اصولها للتغيير او التبديل الا ان ثباتها لا يعني عدم الاجتهاد والتوسع في فهمها بما يلئم متطلبات الحياة الجديدة وهي عامة لم توضع مدة معينة او زمان معين). وفي الاسلام هنالك ترابط بين السلطتين الدينية والدينية فلم يكن الاسلام ديناً فقط له عقائده المعروفة بل هو دين ودولة معا وهذا دليل على شمول الإسلام لكل جوانب الحياة فضلا عن تنظيم العلاقات بين الانسان وخالقه.

نظرة الدين الاسلامي الى الانسان

ان الانسان كائن مكرم وهو سيد الكائنات جميعا ذلك ما يحمله الإسلام في شريعته وتصوره لكي تتعلم البشرية في كل زمان

ومكان ان اغلى الكائنات وأعظمها هو الانسان على ان يكون مؤمنا صالحا لا جحودا ولا شريرا. ومما هو معلوم في شريعة الاسلام ان الكون بما يحويه من اجزاء وتفصيلات ومركبات مسخر اصلا للإنسان لينتفع به وبمحتوياته فيما يحقق له الخير والسعادة . وقال عز وجل (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [الجاثية : 13] وغيرها من الايات الكريمة التي تكشف عن تكريم الانسان لتسخير الكون وأجزائه له وذلك من السماء والأرض بما فيها من كواكب ونجوم وانهار وبحار وليل ونهار وزرع وماء وثمر كل ذلك جعله مسخر لذلك الكائن المميز.

فان الانسان هو سيد المخلوقات في هذا الوجود وكل الوجود عابد لله سبحانه وتعالى يدين له بالتعظيم ويقرأ له بالا ولهيه والوحدانية قال سبحانه (تَسْبِحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ خَلِيمًا غَفُورًا) [الإسراء : 44].

ان البشرية في هذا الزمان تعاني الشدائد من ويلات وكوارث وشور كالقلق والاضطراب وافتقاد الراحة والسعادة. ان الانسان هو الكائن المفضل والمكرم الذي كتب الله له الصدارة في سلم الخليقة والكائنات جميعا قال سبحانه (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ

فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ([الإسراء : 70] .

ومن اول الدلالات على افضلية الانسان وتميزه على غيره في هذا الكون وانه سيد الكائنات ان جعله الله في الارض خليفة وذلك اختيار رباني عظيم له مدوله الكبير الذي يؤكد افضلية الانسان ان كان مؤمنا عاملا صادقا, وذلك لما يناط به من عظيم الامانة والمسؤولية.

وما كان الانسان ليكون خليفة لولا انه مشحون بزاخر المواهب والطاقات وعظيم القدرات والاستعدادات التي تمكنه من هذه المسؤولية بالخلافة في هذه الحياة الدنيا بقوله سبحانه وتعالى (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) { البقرة : 30 }

وهناك قيم اكد عليها الاسلام وأثبتها حول حقوق الانسان وهي :

1- أصل البشر واحد وسبب استخلافه في الأرض واحد. قال تعالى : { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } . وقال رسول الله ص (كلكم من آدم) وانطلاقاً من هذا المبدأ، يقر الإسلام بمساواة العباد دون تمييز على أساس الدين أو الجنس أو العرق أو النسب.

2- يتعين احترام الحق في الحياة. ويوجب الشرع حماية الحياة من كل أشكال الاعتداء قصد صيانة استمرارها. قال تعالى : { ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين } . وقال كذلك : { من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً } .

ولا يستثنى الإسلام في هذا الباب قتل الإنسان لنفسه. فنفس الإنسان ليست ملكاً له، بل هي ملك لله الذي خلقها وسواها، وهو القائل عز وجل : {ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً} . وفي حديث متفق عليه، قال رسول الله ص : (من تردى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً ومن تحسّى سمّاً فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً) . ويكون بذلك المنتحر في مرتبة المجرم القاتل ضدّاً في مشيئة الله.

3- المرأة والرجل متساويان في الكرامة والعدل. قال تعالى : { من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة} . وقال كذلك : { فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى} وقال رسول الله ص : (النساء شقائق الرجال) .

4- يتعين احترام الحق في الديانة استجابة لقوله تعالى : { لا إكراه في الدين} . وقال سبحانه كذلك : { أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين} . ومفاد هذا التكليف أن الإيمان الحقيقي يكون نتيجة للاقتناع وحرية الاختيار.

5- يتعين احترام حرية الإنسان ولا يجوز استعباده أو قهره أو استغلاله. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا).

6- يتعين احترام حق الإنسان في الأمن على نفسه وماله وعرضه.

7- يتعين صيانة حق الإنسان في التعبير بكل حرية عن رأيه ما دامت آراؤه لا تخالف الأحكام الشرعية.

8- يتعين حماية حق الإنسان في الدفاع عن مصالحه دون الخروج عن حدود حرمات الله عز وجل. وإذا كان البشر مُكْرَمًا من قبل البشر في إعتداد حرم الإنسان الوضعية، فهو مَكْرَمٌ في الإسلام تكريماً إلهياً شرعياً لا يجوز لأحد أن يحرمه منه. وبما أن احترام حقوق الإنسان في الإسلام يعتبر تكليفاً ربانياً، فلا يسع المؤمن إلا أن يقوم بذلك مدركاً أن تعطيل ذلك أو التهاون بشأنه يُعدُّ تقصيراً في العبادة.

حقوق الانسان في العصر الحديث

كان (مارتن لوثر توفى : 1546 م) زعيم لحركة الاصلاح في

المانيا البروتستانتية وناكر على الكنيسة ورجال الدين ان يكونوا

..... (32)

وسطاء بين الانسان وربه بل يتوقف على ايمان الانسان بنفسه. وقد تبعه عدد من المفكرين والاصلاحيين في الغرب شهدت اوربا وخلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر وبداية القرن السابع عشر بظهور الثورة الصناعية وما رافقها من استكشاف جغرافي، واتساع التجارة ونمو المدن وقد ادى ذلك الى بداية اضمحلال النظام الاقطاعي وبدأ نمو الطبقة الوسطى ليكون لها دور في حياة المجتمعات الاوربية وهذه الطبقة هي التي تبنت حقوق الانسان شعار رائج " ان قيمة الانسانية تكمن في ذاته".

٨٢ / ٣٣

سان في العصر الحديث نهضة كبيرة بفضل عوامل كثيرة منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية فظهرت كثير من الافكار الجديدة في المجتمعات ومن ثم شهد التاريخ كثير من الثورات التحررية فظهر عدد من علماء الفلاسفة في اوربا واستحدثوا الافكار الجديدة في التنمية والحقوق والحريات مثل الفيلسوف الانكليزي جون لوك (توفي 1704م) في كتابة الحكم المدني الذي دافع عن القانون وفي فرنسا اشتهر المفكر (بونتسكيو) وهو عالم الاجتماع توفي (1755 م) الذي كتب كتابا سماه روح القوانين والذي انتقد بشدة الحكم المطلق

في الوقت الذي دخل فيه العالم في الربع الاخير من القرن الثامن عشر الميلادي اذ شهد الغرب حدثين كان لهما الاثر الكبير لتحويل

مجري التاريخ في مجال حقوق الانسان , فالحدث الاول تمثل بقيام ثورة الشعوب الامريكية ضد المستعمر الانكليزي وإعلان الاستقلال الامريكي في عام 1776م . اما الحدث الثاني فهو قيام الثورة الفرنسية ضد الحكم الامبراطوري وعلان حقوق الانسان والمواطن في عام 1789 م , وكانت ثورة ضد الظلم والاستبداد وتم حقوق الانسان والمواطن وإعلان المبادئ الاساسية الثلاثة (الحرية – المساواة – الاخاء) وتم تجديد تلك المبادئ عام 1793م.

ومن ابرز المناضلين الاحرار والداعين ل(اللاعنف) والمطالبين بتحرر هو (المهاتما غاندي توفي : 1948م) والذي قام بالعصيان المدني والتي ادت الى استقلال بلده الهند وأصبح قدوة للكثير من الحركات المدنية الداعية للحقوق والحريات ومن الاحداث البارزة في التاريخ هو ظهور شخصية (مارتن لوثر كنج توفي عام 1968م) والذي نادى باللاعنف او بالمقاومة السلمية والذي دعى الى عدم التفرقة بين البيض والسود ونتيجة لنضاله بالعصيان المدني اصدرت المحكمة حكمها التاريخي الذي ينص على عدم قانونية هذه التفرقة العنصرية .

وقد شهد العالم الحرب العالمية الاولى في عام 1914م والتي خلفت ملايين من الضحايا سواء كانوا من القتلى ام من الجرحى من المدنيين والعسكريين في اوربا بعدها انبثقت عصبة الامم المتحدة



التي تم بحدودا بشأن حقوق الانسان.وفي الحرب العالمية الثانية عام 1939م وما تخلصها من دمار وخراب وخسارة العالم ملايين البشر التي راح ضحيتها فضلا عن خسارة الاموال والممتلكات وحدثت كارثة انسانية في اليابان عام 1945م بضرب مدينة هيروشيما وناكازاكي بقنبلة نووية والمقصود بها اسلحة الدمار الشامل بعدها اسست الجمعية العامة للأمم المتحدة وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ العالم مع بداية عقد الخمسينات من القرن الماضي .